Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتحسينها ، فيبلغ من ذلك بعض ما يريد حينا ، ويعجز عنه فى أكثر الأحوال[٣] » . خلع طه حسين على الشعر صفة السآمة والملل لأنه قيل فى أعقاب سجن ، وقال إنه كان خاليا من الصدق والاخلاص لأنه كان مديحا فى رجال فاته منهم ما كان يرجوه لنفسه . ويعيب مثل هذا القياس أن الحزين المصاب بالملل والسآمة لا يقول شعرا ، فقول الشعر بمعنى من المعانى خروج من ذلك الملل المفترض ، وإذا سلمنا بحقيقة خروج المشاعر الإنسانية من كل تحديد فليس شرطا أن يسأم الخارج من السجن ، وليس شرطا أن يكذب من يمدح . إذا تحدث الشاعر عن سجنه تظهر هذه المقارنة بين معارفنا عن سجن السجين وتصوير الشاعر لهذه المعارف . حديث النقاد فى مثل هذه الحال يدور حول أصل معرفى وصورة فنية ، والرواد يعتقدون دائما فى سلامة الأصل وخروج الصورة الشعرية عليه باعتبارها عكسا غير مضبوط . لم يكن هناك ما يسمح بوجود ثلاث عوالم لا تتجاور بقدر ما تتنافر : طبيعة فى الخارج تتحدث عنها العلوم وأحاديث الحياة اليومية الجارية ، وذات فى الداخل تتبدى فى أحلام اليقظة وأحلام النوم وما إليهما ، ثم عالم من فن وأدب قائم بذاته لا يصور خارجا ، ولا يعبر عن داخل ، وإنما هو خلق ، وعلى من يرتاده أن يعيش فيه فلا يتخذ منه مجرد نافذة يطل منها على شىء سواه[٤] . ونريد أن نشير هنا إلى أن هذه العوالم الثلاثة المتنافرة فى فكر النقاد بعد الرواد ، والتى يطالبون باستقلالها ، إن صح التعبير ، ليخلو للأدب وجهه الأدبى ، إن صح التعبير كذلك ، نقول إن هذه العوامل المتنافرة كانت تتجاور عند الرواد بلا مشقة ، ودون أدنى تساؤل عن صعوبة قيام وحدة تجمع الذات والجماعة وترضى الفن فى آن واحد . طموح الرواد وطبيعة الريادة فيما نرى وراء هذا النداء الذى لا يرى بأسا فى أن يجتمع

---

(٣) طه حسين ، مع المتنبى ، ١٠٩ . وانظر القصيدة فى ديوان المتنبى وأولها :

نرى عظما بالبين والصد أعظم ونتهم الواشين والدمع منهم

شرح العكبرى ، جـ ٤ ، ص ٨١ .

(٤) د . زكى نجيب محمود . مع الشعراء ص ١٦٨ . ويجدر بنا هنا أن نشير الى أن قياس الشعر على الوقائع الخارجية فكرة تفترض أن الجمال قائم فى صورة أصلية صادقة يسمونها الطبيعة ، وقد طال نقاش علماء الجمال حول هذه القضية ، ويعنينا من بين هذه الآراء المختلفة هذا الرأى القائل بأن جمال الطبيعة يبلغ غايته من خلال الفن . وبمعنى آخر فان الطبيعة تأخذ قيمتها الجمالية عندما ننظر اليها من خلال الفن وبلغاته العديدة . إن الطبيعة فى هذا الرأى معجم وليست كتابا وهى مواد للبنا ، وليست بناء كما يقول ديلاكروا . للمزيد من التفاصيل راجع مبادىء علم الجمال لشارل لالو ترجمة خليل شطا ص ٦ ، ٧ ، ١٠ ، دار دمشق للطباعة ، القاهرة ، ١٩٨٢ .